الفصل السابع عشر

دسيسة العِرق …

– والله لا يقع في مثل هذه الغفلة ابن حُرَّة!

– كذلك قال ابن هبيرة قبلَ أن تقع الواقعة، ونرى أنفسنا في هذا القفر لا زاد لنا، وقد أخذَتنا سيوف الروم من كلِّ جانب!

– ذلك الكلب الغادر إليون …

– بل قُل: ذلك الأبله ابن ورد، لقد خدعه ذلك الكافر خديعةً لو كان امرأةً لعِيبَ بها!

– ونال بها إليون عرش قسطنطين!

– ونِلنا بها ما نِلنا من الهوان والضعف والمذلَّة، وما أرانا غدًا إلا هالكين جوعًا وبردًا في هذه القَفْرَة المثلوجة!

– وا أسفا! لقد كان مسلمة — فيما أرى — أسدَّ بني مروان رأيًا وأخبرهم بفنون الحرب!

– وما هي الحرب إلَّا السياسة والتدبير ونصب الفِخَاخ وتوقِّي المهالِك؟

– وإنه لكذلك، لولا ما تدسَّسَ إليه من أمِّه الرومية، فكأنما حنَّ العِرق إلى العِرق فاستنام إلى وعدٍ غادِر.

– أتذكرُ حين أنشد عبدُ الملك بين يدي مسلمةَ وإخوته في حلبة السباق ذات غُدْوَة:

نهيتكم أنْ تحملوا فوق خيلكم هــجــيــنًــا[1]… … … …

– نعم، وقد تناقلها الناس يومئذٍ وقالوا: ما أنصَفَ عبد الملك مسلمة!

---

[1] انظر بقية الأبيات الفصل الخامس.